بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المطففين

وهي سورة مكية، تبدأ بقوله سبحانه:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾

دعاء بالخسران، وتهديد بالهلاك ﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ الذين يبخسون حقوق الناس.

ولزيادة التعريف بهم يقول ربنا: هم ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي: من الناس ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾ حقوقهم بأخذها كاملة وافية.

وهذا لا عيب فيه!!

﴿و﴾ لكن العيب، أنهم ﴿إِذَا كَالُوهُمْ﴾ أي: كالوا لهم ﴿أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ أي ينقصون.

وإذا كان هذا العمل في الكيل والميزان: مذموم!!

فهو في باقي الأمور العادية والمعنوية أشد ذمًا.

والله إنه لعجيب أمر هؤلاء!!

﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾

يعني: ﴿أَلَا يَظُنُّ﴾ يعتقد ويعرف ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ المطففون ﴿أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ من قبورهم ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو يوم الحساب.

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾ جميعًا ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

وعليه: فلا ينبغي منهم هذا التطفيف، بل عليهم العمل بالسوية والعدل في كل أخذ وعطاء، بل في كل قول وعمل.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ﴿٨﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٩﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿كَلَّآ﴾ لا ينبغي لهم ولا منهم هذا التطفيف، حيث إنَّ مَن يعتاد عدم العدل في الحقوق أخذًا وعطاءً: هو من الفجار، والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾ أي: صحائف أعمالهم ﴿لَفِي سِجِّينٖ﴾ الذي يدوِّن الله فيه أعمال الشياطين والكفرة من الجن والإنس.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا﴾ فظاعة ﴿سِجِّينٞ﴾ هذا الذي هو في الأرض السابعة، محل إبليس وجنوده؟

وكتاب الفجار ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ مختوم لا يزاد فيه، ولا ينقص منه.

ثم يهدد الله هؤلاء الفجار قائلًا: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ وهو يوم القيامة، فيفعلون ما يفعلون مما لا يرضي رب العالمين.

﴿و﴾ على أية حال ﴿مَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ﴾ أي بيوم الدين ﴿إِلَّا كُلُّ﴾ مَن اتصف بهذه الصفات:

أولًا: ﴿مُعۡتَدٍ﴾ مجاوز لقدره، وحدود الله التي شرَّعها.

ثانيًا: ﴿أَثِيمٍ﴾ في أقواله وأفعاله إن حَدَّث كذب، وإن وعد أخلف، وإن خاصم فجر، وإن عاهد غدر.

ثالثًا: ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا﴾ من القرآن ﴿قَالَ﴾ عنها مكذِّبًا لها: إنها ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ التي لا أصل لها، وهي مكذوبة.

وعليه: فلا ينبغي منهم هذا التكذيب، بل عليهم، أن يسارعوا في الإيمان والطاعة.

ثم يقول الحق سبحانه:

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ ليس الأمر كما يقولون، فيكذبون به، ﴿بَلْ﴾ الحقيقة: أنه ﴿رَانَ﴾ غلب ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ حتىٰ غطَّاها، وأعماها عن الحق ﴿مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ أي: حقًا ﴿إِنَّهُمْ عَن﴾ رحمة ﴿رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ ممنوعون، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ﴾ نتيجة هذا الحرمان ﴿لَصَالُوا﴾ لداخلوا ﴿الْجَحِيمِ﴾ للحريق والعذاب.

﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم تبكيتًا وتحسيرًا ﴿هَٰذَا﴾ اليوم، وهذا العذاب هو ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ فذوقوه، واخلدوا فيه.

بعد هذا البيان الإلٰهي لكتاب الفجار، وحالهم، ومصيرهم الذي يخوِّف الله بذكره عباده، يبيِّن ربنا عز وجل: الفريق المقابل لهم، وحالهم، ومصيرهم ترغيبًا لعباده في العمل الصالح الذي يرضي الله، ويسعد العباد، ويصلح البلاد.

فيقول الحق سبحانه:

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾

﴿كَلَّا﴾ لا ينبغي الفجور والعصيان، والمخالفة لأوامر الله، بل الواجب: هو الطاعة الكاملة؛ ليكون العبد من الأبرار، حيث ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ أي: صحائف أعمالهم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ الذي يدِّون الله فيه أعمال الصالحين المطيعين من الجن والإنس.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا﴾ عظمة ﴿عِلِّيُّونَ﴾ هذا الذي هو في السماء السابعة تحت عرش الرحمٰن!!؟

وكتاب الأبرار هذا ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾ مختوم، لا يزاد فيه، ولا ينقص منه.

أيضًا ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ من الملائكة.

حــقًّــا: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ
نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ
ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾ مقيم ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ متكئين ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلىٰ ما أعطوا من النعيم. إذا نظرت إليهم: ﴿تَعْرِفُ﴾ ترى ﴿فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ بهجته، وأثره عليهم.

وهم في هذا النعيم: ﴿يُسْقَوْنَ﴾ شرابًا خالصًا لا غش فيه ﴿مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ لا يَفُكُّ ختمه الذي يغلق به، إلَّا هم.

﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ إذا فتح: رائحته ﴿مِسْكٌ﴾، ﴿وَفِى ذَٰلِكَ﴾ النعيم، والرحيق، والمسك ﴿فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ بالمسارعة إلىٰ عمل الصالحات، والابتعاد عن السيئات.

﴿و﴾ هذا الرحيق، الذي يشربونه ﴿مِزَاجُهُۥ﴾ الذي يخلط به: ﴿مِن تَسْنِيمٍ﴾ وهو: أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه حال كونه، ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ ومنها ﴿ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

هذا: هو جزاء الأبرار المتقين، الذين آمنوا.

وللعلم: وقد كان الكفار يضحكون من هؤلاء في الدنيا، وعليهم يتغامزون، ولذلك: يقول الحق سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ
﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ
لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ كفروا ﴿كَانُوا۟﴾ في الدنيا ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ﴾ ويستهزؤن بهم وعليهم.

﴿و﴾ كان الكافرون ﴿إِذَا مَرُّواْ بِهِمْ﴾ أي المؤمنين ﴿يَتَغَامَزُونَ﴾ عليهم؛ استهزاءً بهم.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ﴾ أي: رجعوا ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ﴾ بعد هذا الاستهزاء ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾ معجبين بما فعلوه.

﴿و﴾ كانوا أيضًا ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ﴾ في أي وقت، أو أي مكان ﴿قَالُوٓاْ﴾ عليهم ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ لإيمانهم بمحمد ﷺ.

ويرد الله عز وجل عليهم في موقفهم هذا بقوله تعالىٰ:

﴿وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

يعني: لمَ شُغل الكفار بالمؤمنين علىٰ هذا الشكل؟!

﴿و﴾ هم ﴿مَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾ لأحوالهم، مراقبين لأعمالهم، في الوقت الذي تركوا فيهم هم ما كُلِّفوا به من الإيمان والطاعة.

علىٰ أية حال: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة تنعكس الآية، ويصير ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ مجازاة لهم.

ويكون المؤمنون في النعيم ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ من منازلهم إلىٰ الكفار وهم يُعذَّبون.

حقًا: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ بالمؤمنين في الدنيا؟

نعم، لقد جُوزوا أوفر الجزاء وأكمله!!

فبئس مثوىٰ الكافرين!!

ونِعم دار المؤمنين!!

والحمد لله رب العالمين!!

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الانشقاق

سورة مكية، وهي تبدأ بقول الله عز وجل:

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾

نعم: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ تشققت وتصدعت و﴿أَذِنَتْ﴾ استمعت ﴿لِرَبِّهَا﴾ وأطاعت ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: وحُق لها أن تسمع وتطيع لأمر الله، ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ بسطت وسويت، ولم يبق عليها بناء ولا جبل، ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الأموات ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عنهم، و ﴿أَذِنَتْ﴾ استمعت ﴿لِرَبِّهَا﴾ وأطاعت ﴿وَحُقَّتْ﴾ أي: وحق لها أن تسمع وتطيع لأمر الله.

نعم، إذا حدث هذا: فقد قامت القيامة. لذلك فانتْبه:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾

انتبه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ لهذا اليوم، واستعد بالإيمان، والعمل الصالح له، حيث ﴿إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ أي: ساع وسائر ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ بالموت ﴿كَدْحًا﴾، لذلك: فمن استطاع

أن يكون كدحه وسعيه وعمله في طاعة الله فليفعل، إذ مهما كان كدحه خيرًا أو شرًا: ﴿فَـ﴾ إنه ﴿مُلَاقيه﴾ وسوف يحاسب عليه.

والناس أقسام علىٰ حسب عملهم وسعيهم يوم القيامة:

أ ـ ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾ الذي سجل فيه عمله ﴿بِيَمِينِهِۦ﴾ وهو المؤمن ﴿فَسَوْفَ﴾:

أولًا: ﴿يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ وهو عرض عمله عليه، ثم يثاب علىٰ الطاعة، ويتجاوز له عن المعصية.

ثانيًا: ﴿وَيَنقَلِبُ﴾ أي: يرجع ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ المؤمنين في الجنة فرحًا ﴿مَسْرُورًا﴾

ب ـ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾ بشماله من وَرَآءِ ﴿ظَهْرِهِۦ﴾ وهو الكافر ﴿فَسَوْفَ﴾:

أولًا: ﴿يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾ يقول: يا ويلاه!! يا هلاكاه!!، من شدة أهوال ما يلاقي.

ثانيًا: ﴿وَيَصْلَىٰ﴾ يدخل ﴿سَعِيرًا﴾ أي: جهنم حيث ﴿إِنَّهُۥ كَانَ﴾ في الدنيا وهو ﴿فِىٓ أَهْلِهِۦ﴾ أي: معهم ﴿مَسْرُورًا﴾ بما يفعل من إنكار البعث، وعدم توحيد الله، والسخرية بالمؤمنين.

نعم ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: لن يرجع إلىٰ ربه، ولن يكون هذا اليوم؛ لأنه كذَّب بالبعث.

﴿بَلَىٰٓ﴾ سيرجع الكافر، وسيبعث ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ وسيجازيه علىٰ كفره، وعمله السيء.

إذا عرفت هذا أيها الإنسان، وتحقَّقت من البعث، وتيقَّنت من الرجوع إلىٰ ربك:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾

الجواب: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾

يعني: يقسم ربنا ببعض مخلوقاته؛ منبِّهًا لهم علىٰ أمر خطير؛ حيث يقسم **أولاً**: ﴿بِٱلشَّفَقِ﴾ وهو الحمرة في الأفق بعد غروب الشمس.

كما يقسم **ثانيًا**: ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي: ما دخل عليه بظلمته من الكائنات.

ويقسم **ثالثًا**: ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ يعني: اجتمع نوره وتم، وذلك في الليالي البيض.

يقسم ربنا عز وجل بهذه الأشياء ثم يقول: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾ أيها الناس ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ حالًا بعد حال، كالموت، ثم الحياة بعده، ثم أحوال وشدائد القيامة.

وإذا كان هذا حالهم في يوم القيامة!! وإذا كانوا قد عرفوه وهم في الدنيا!!

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩ ٢١﴾

﴿فَمَا لَهُمۡ﴾ أي الكفار، بعد هذا الوضوح ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ بالله واليوم الآخر؟

﴿و﴾ ما لهم أيضًا ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ۩﴾ أي: لا يخضعون؟

نعم! ما الذي يمنع من الإيمان والخضوع ؟ هل هو عدم وضوح الحق أمامهم؟ هل هو عدم فهمهم؟ لا هذا ولا ذاك.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤﴾

﴿بَلِ﴾ الحقيقية: أن ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾ بالبعث وما بعده.

﴿وَٱللَّهُ﴾ سبحانه وتعالى ﴿أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ أي: يجمعون في صحائف أعمالهم من الكفر وأعمال السوء؛ وسيجازيهم عليها.

لذلك ﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

هذا عن الكافرين، أما عن المؤمنين، فيقول ربنا عز وجل:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ ٢٥﴾

﴿إِلَّا﴾ أي: لكن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بقلوبهم ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ بجوارحهم: فهؤلاء ﴿لَهُمۡ﴾ في الآخرة ﴿أَجۡرٌ﴾ أي: جزاء ﴿غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ غير مقطوع ولا منقوص.

* * *

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سورة البروج

وهي سورة مكية، تبدأ بقول الله عز وجل:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝١ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾

هذا قسم من الله تعالىٰ، يقسم فيه سبحانه بالسماء ﴿ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ والبروج، هي: المنازل والطرق التي تسير فيها الكواكب.

وباليوم ﴿الْمَوْعُودِ﴾ وهو يوم القيامة.

وبشاهد في ذلك اليوم ﴿وَمَشْهُودٍ﴾ والشاهد، هو كل الخلائق، والمشهود، هو ما في هذا اليوم من العجائب والأحوال والأهوال.

كل هذا قسم وجوابه محذوف. تقديره: لقد لُعِن المكذبون لمحمد ﷺ.

نعم، لقد لعنوا كما:

﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ۝٤﴾

أي: لعن وطرد من رحمة الله أصحاب الأخدود، ولكن ما هذا الأخدود؟

إنّه: شق عظيم في الأرض. ملأه المكذبون، بـ:

﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾

نعم، بـ ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ الهائل الشديد، المُكوَّن من الحطب، وأبدان الناس ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ أي: حولها ﴿قُعُودٌ﴾ يتفرَّجون علىٰ هذا الحريق لمخالفيهم.

﴿وَهُمْ﴾ أي: المكذبون الكافرون ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أي: حضور، يشرفون بأنفسهم علىٰ هذا الحرق.

وقد حدث هذا من الكفار لبعض أقوامهم، وتحلَّقوا حولهم، وصاروا يتلذذون بهذا الإحراق. ولكن لماذا فعلوا هذا؟ يقول المولىٰ عز وجل:

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾

﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ﴾ يعني: وما عابوا عليهم شيئًا فعلوه ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟﴾ ويستمروا علىٰ إيمانهم، ويتمسكوا به، ولا يستجيبوا لهم في الكفر ﴿بِٱللَّهِ﴾ سبحانه وتعالىٰ ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الغالب، ﴿ٱلْحَمِيدِ﴾ المنعم، ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ والكل في قبضته وتحت سلطانه، وهو سبحانه ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي هو تعالى مطَّلعٌ على أعمال عباده، لا تخفى عليه خافية من شؤونهم.

وإذا كان الله قد لعن هؤلاء الطغاة في الدنيا، فإن جزاءهم في الآخرة فظيع، حيث يقول الله تعالىٰ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾

يعني: ﴿إِنَّ﴾ الظالمين ﴿ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟﴾ أي: عذبوا ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ ليردُّوهم عن دينهم، أو يمنعوهم من إقامة شرع ربهم ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟﴾ قبل موتهم، وماتوا علىٰ ذلك: ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ جزاءً عادلًا لهم ﴿وَلَهُمْ﴾ فيها: أي جهنم ﴿عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ كما حرقوا المؤمنين في الدنيا.

وأما أهل الإيمان، فيقول عنهم ربنا تبارك وتعالىٰ:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

نعم، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وصبروا علىٰ أذىٰ الكافرين في حال ضعفهم: ﴿لَهُمْ﴾ عند ربهم ﴿جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ بخلاف أعدائهم الذين لهم عند ربهم عذاب جهنم، ولهم كذلك عذاب الحريق، ﴿ذَٰلِكَ﴾ هو ﴿ٱلْفَوْزُ﴾ الحقيقي ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ الذي لا سعادة ولا فوز بعده.

يا محمد، ويا كل داعية إلىٰ الله!! لا تيأس، لا تجزع من علو الطغيان، وأذى الطغاة، ما دمت قد بذلت ما في وسعك، فإن ربك سوف ينتقم منهم، ويبطش بهم:

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بالظلمة، وانتقامه منهم ﴿لَشَدِيدٌ﴾، حيث ﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه هو الذي ﴿يُبْدِئُ﴾ الخلق، ويميتهم ﴿وَيُعِيدُ﴾ بعثهم، فهو القادر الذي لا يعجزه شيء.

﴿وَهُوَ﴾ في الوقت ذاته ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لمن أذنب وتاب إليه ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ المحب لأوليائه. ﴿وَهُوَ﴾ سبحانه ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ صاحب العرش، وخالقه، ومالكه ﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ المستحق لكمال صفات العلو والمجد والرفعة والعظمة.

لكل ذلك: هو ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا راد لقضائه، ولا معقِّب لحكمه، لا يمنعه من تعذيب الطغاة والعصاة شيء، ولا يمنعه كذلك من تكريم المؤمنين الطائعين الصابرين شيء.

يا محمد، ويا كل داعية إلىٰ الله!!

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ﴾ وعرفت حديث ﴿ٱلْجُنُودِ﴾ الطغاة الظلمة من أمثال ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ وعرفت ما نزل بهم، وما حدث لهم؛ لتطمئن لانتقام ربك من المكذبين، وتثق أن: ﴿بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿بَلِ﴾ إن أمر قومك أعجب من حديث الجنود هؤلاء؛ حيث إن ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ منهم ﴿فِى تَكْذِيبٍ﴾ مستمر، وعناد متبجح، ﴿وَٱللَّهُ﴾ عز وجل ﴿مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ بهم، لا يفلتون منه، وسوف يعذبهم علىٰ هذا التكذيب والعناد إن لم يؤمنوا.

إنهم يكذبون ما جئت به، وما تبلِّغهم إياه، ويقولون: إنه أساطير الأولين.

لا، ليس الأمر كما يقولون!!

﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

يعني : ﴿بَلْ﴾ الذي يقولون عنه ذلك ﴿هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ عظيم، كما أنه ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ من الشياطين، ومن التغيير فيه، والتبديل له، لذلك: كيف يكفرون به؟

❋ ❋ ❋

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطارق

وهي سورة مكية، تبدأ بقوله تعالىٰ:

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾

هذا: قسم من الله تعالىٰ يقسم فيه سبحانه بالسماء، وما فيها، ومن فيها، وبالطارق الذي يعظِّم أمره، قائلًا ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾؟ لتتطلع النفس لمعرفة هذا الذي عظمه الله!!

ثم يفسره ويبيِّنه قائلًا: هو ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ الذي يثقب الظلام بضوئه.

هذا هو القسم، وجوابه:

﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾

أي: ما ﴿كُلُّ نَفۡسٖ﴾ إلَّا ﴿عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ من الملائكة، يحفظها، بتكليف الله له، من الآفات، كما يحفظ بالكتابة عملها ورزقها وأجلها، فإذا استوفىٰ ذلك: مات الإنسان.

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾

نعم، ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ في نفسه؛ ليعرف ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾!! أي: من أيِّ شيء خلقه الله.

فإذا فعل ذلك، وتفكَّر فيه: سيعرف أنه ﴿خُلِقَ﴾ بقدرة الله تعالىٰ ﴿مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾، وهذا الماء: ﴿يَخۡرُجُ﴾ أيضًا بقدرة الله ولطفه ﴿مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ﴾ للرجل، وهو عظام

الظهر، ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ للمرأة، وهي عظام الصدر.

﴿إِنَّهُۥ﴾ سبحانه، وقد خلق الإنسان بهذا الشكل ﴿عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ﴾ حيًّا يوم البعث ﴿لَقَادِرٞ﴾، وذلك: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى﴾ تنكشف ﴿ٱلسَّرَآئِرُ﴾ الخفية، التي لا يعملها إلَّا الله.

وعندها: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ﴾ في نفسه تنقذه مما هو فيه ﴿وَلَا نَاصِرٖ﴾ يدفع عنه ما يلاقيه ويعاينه.

ثم يقسم ربنا قسمًا آخر قائلًا:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾﴾

أي: أقسم بالسماء ﴿ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ للمطر وإعادته إلىٰ الأرض.

وأقسم كذلك بالأرض ﴿ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ أي: الشق، حيث تتشقق بالنبات والبراكين، وغير ذلك.

هذا هو القسم، وجوابه:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾﴾

﴿إِنَّهُۥ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾ بين الحق والباطل ﴿وَمَا هُوَ﴾ كما يقول المكذبون ﴿بِٱلۡهَزۡلِ﴾، بل هو جِدٌّ كله!!

لذا: يجب أن يكون مهيبًا في الصدور، مهيمنًا علىٰ الحياة.

ختامًا: يا محمد، ويا كل داعية إلىٰ الله!!

﴿إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾﴾

﴿إِنَّهُمۡ﴾ أي: الطغاة المكذبون المعاندون ﴿يَكِيدُونَ﴾ لهذا الدين وأهله ﴿كَيۡدٗا﴾ من الصد عنه، والإيذاء لأهله.

﴿وَ﴾ لكن ﴿أَكِيدُ﴾ لهم ﴿كَيۡدٗا﴾ حيث أجازيهم علىٰ كيدهم ومكرهم بما هو أنكىٰ لهم، وأشد تنكيلًا.

علىٰ أية حال!! لا تدع بهلاكهم، ولا تستعجل لهم، أي: إصبر، وسترى ما سيحل بهم، مادمت قد بذلت كل ما في وسعك في تنفيذ أمر الله لك!!

* * *